

# وليم هوغارث : فنان الكوميديا اللسانية

## بقلم عطا صبري

الفنانين : ( جوزيف هاي مور ) و ( توماس هدسن )  
و ( فرانس هيان ) و ( آرثر ديفيز ) . ولكن ابرزهم واهمهم  
كان ( وليم هوغارث ) .

ويعدّ ( هوغارث ) الشخصية الاولى في حقل التصوير والفن  
الانكليزي وهو الفنان الجريء الذي كوّن لنفسه شخصية  
مستقلة وطابعاً خاصاً ، مهملًا جميع المؤثرات الخارجية . وكان  
هذا الشخص القصير الممتلي ذو الوجه البسيط اول ثمرة أُنعت  
في جيله ، وهو الجيل المتميز بالتعليل والعقل والمنطق والافتناع  
وامهال ما هو ( رومانتيكي ) او ( مثالي )  
او ( مبهم ) .

ولم يكن ( هوغارث ) مقرباً للبلاط ،  
ويقال انه أساء إلى ( جورج الثاني ) حينما  
رسم صورته المسماة ( زحف الحراس إلى  
فينجلي ) . وكانت هذه الصورة تمثل  
مجموعة من الجنود السكارى باوضاع  
مضطربة . وقد اعتاد ( هوغارث ) ان  
يرسم ما يراه في الحقيقة والواقع ، فلم  
يغالِ ابدأً في التعبير . وعلى ذلك لم  
يرغب قط في رسم المواضيع الدينية لا  
سيما تلك التي يكلفه بها رجال الدين .

ولم يهتم بالمواضيع الفخمة الكبيرة  
التي كانت مطلوبة ومحبوبة حينئذ لدى  
الجمهور إذ كانت الاغنياء من الانكليز

يرغبون في إظهار ثقافتهم الفنية التي حصلوا عليها خلال رحلاتهم  
الطويلة والعظيمة في اوروبا باقتناء الصور الضخمة دون ان يأبهوا  
بالنبوغ المحلي وفنونه مما كان يشير امتعاضه .

ولقد رسم ( هوغارث ) لمدة طويلة الصور الشخصية وكانت  
صوره ذات مسحة هزلية . وقد برع في رسم مواضيع اللوحات  
المسماة ( بالمحادثة ) لدرجة انه يوم الناظر بان الاشخاص احياء  
يتحرّكون ، بشكل طبيعي غير مصطنع ، وكان الشعب حامي

ولد وليم هوغارث في لندن عام ١٦٩٧ فبدأ حياته بالتدرب  
على صياغة الفضة ولكنه ما لبث في عام ١٧١٨ ان تحرر واصبح  
يصنع الصور المحفورة لبائعي الكتب . وبعد مرور ست سنوات  
اصبح عنواً ( لجيرون ) واكاديمية ( فاندربانك ) .

وفي سنة ١٧٣٤ كانت شهرته قد ذاعت وعرف بصوره  
المحفورة التي تمثل مجموعات مختلفة من القصص والمواضيع  
الاجتماعية كلوحته « The Harlot's Progress » .

وفي سنة ١٧٣٥ انشأ ايكاديمية للتخطيط من منطقة ( سانت  
مارتينز لين ) . ثم زار فرنسا سنة

( ١٧٤٣ - ١٧٤٨ ) ، وطبع كتابه  
المسمى ( بتحليل الجمال ) في سنة ١٧٥٣  
وفي عام ١٧٥٧ خلف ( ثورنهل ) فصار  
رسام الملك الخاص .

في القرن السادس عشر كان يعيش  
في انكلترا بعض مشاهير الفنانين  
( كهولباين ) و ( اس . مور ) و ( فان  
دايك ) و ( ليلي ) و ( نيللر ) . وكان  
الاقبال منصباً آنذ على صور الاشخاص  
والمواضيع الدينية الكبيرة الحجم  
والصور التزيينية .

وفي القرن الثامن عشر تأثر الفن  
الانكليزي بالمدرسة الهولندية تأثراً كبيراً  
بعد تشجيع ( وليم الثالث ) وزيارة

( نولكينز ) الى انكلترا . كما تأثر بمدرسة البندقية وذلك بعد  
زيارة ( ريجي ) و ( كاناليتو ) .

وفي سنة ١٧١١ ألّف اول ايكاديمية للتخطيط والرسم الزيتي  
من قبل ( نيللر ) . وحوالي سنة ١٧٦٨ أسست الايكاديمية  
الملكية . حيث اتفق جميع الفنانين من رسامين ونحاتين على  
تكوين طريقة مستقرة للتدريب وترغيب الناس في الاشغال  
الفنية الحديثة التي يرسمها الرسامون الحليون . ومن اولئك



وليم هوغارث : بريشته



زحف الحراس الى فينجلي - لهوغارت

( هوغارث ) ومشجعه الاكبر في الفن . وقد طبع الرسام صورته الزيتية ، بواسطة الحفر فذاع صيتها وسهل الحصول عليها بما درّ عليه الربح الكثير .

ومن حسن الحظ انه اصبح تلميذاً ( للمستر كامبل ) الذي كان يمارس الحفر على اللوحات الفضية . ولكنه منذ حداثة سنه كان قد قرر ان يعتمد على نفسه ، وآلى ان يكون احسن محترف بدل ان يكون عالماً مختصاً . كما انه كره دراسة القواعد اللاتينية وهكذا اختار الحرفة فأخذ في الحفر على اقداح الشاي ، وتمكن اخيراً من ان يتقن الحفر ويشتهر به .

اما حياته الخاصة فلم تكن مليئة بالمخاطر والمفاجآت الا حينما هرب مع ابنة الفنان ( جيمس ثورنهل ) رسام المواضيع التاريخية للملك وكان ذلك بين ( ١٦٧٥ - ١٧٣٤ ) .

اما معيشته فبعيدة عن ان تكون مترفة ؛ ولعله قضاها في منطقة ( حقول لستر ) المسماة اليوم ( بساحة ليستر ) وقد كانت حينذاك الوسط الفني أو هي بمثابة ( حي اللاتين في لندن ) .

وكان السفر على ضفاف ( التاميس ) حينئذ من السفرات الخطرة والمتعبة ، فأثر أن يجد ضالته المنشودة في مدينة (لندن) المليئة بالمواضيع التي يرغب فيها .

ولقد فهم « طبيعة الإنسان » فهماً صحيحاً كما يبدو في صورة (الفتاة القروية) التي ولجت حديثاً محيط لندن الصاحب .

وفي لوحاته التي تصور الشباب بملابسهم العصرية تموج بهم ساحة ( كوونت غاردن ) والسكراري الذين يخرجون من الحانات ويمشون في الطرق والمنعطفات . وهو يجد المتعة في دراسة تلك الوجوه المختلفة والحشود البشرية فيلقي عليها نظرة خاطفة عندما يشق طريقه بينها وتلوح له كرواية أو مشهد تمثيلي أو كتاب رائع .

وعلى هذا الاسلوب رسم لوحاته المتسلسلة الشهيرة والمسماة بـ ( Harlot's Progress ) و ( The Rak's Progress ) والاخرى المسماة بـ ( الزواج الحديث ) ( The Marriage à la Mode ) ، فمن خلالها تتر أشكال غريبة وشخصيات متنوعة من المحامين ، ومدربي الرقص ، والسيدات المتأنقات ، والشجعان من الفرسان . ويختلف النقاد في تقديرهم ( لهوغارت ) فمنهم المعجبون بلوحاته ومنهم المنتقدون لها لأنها تشبه على حد تعبيرهم « فن الأدب » .

ومن الافضل ان نسمع ما يقوله ( هوغارث ) عن نفسه : « حاولت ان اعالج مواضيعي كما يعالجها الكاتب الروائي كالمسرح ، ورجالي ونسائي فيها كالممثلين ، يعرضون ببغض الحركات والحالات رواية صامتة »

ويقول الناقد ( تشارلس لامب ) عندما يكتب عنه « انسا نقرأه كأننا نطالع كتاباً » .

ولكن معظم النقاد عندما يكتبون عنه ويقارنون لوحاته الفنية بتلك القطع الأدبية ، يقفون حيارى مستغربين امام لوحته الخالدة المسماة بـ ( البائعة ) ( The Shrimp Girl ) .

أما ( ويسلر ) الذي ينظر الى الفن الانكليزي غير نظرة ( هوغارث ) اليه فقد كان يمدحه ويعتبره من الفنانين العظماء . لقد كان ( هوغارث ) فناناً مؤلفاً في الآداب والاخلاق او على الاقل كان يستعمل الخلق كأساس لكوميديا الانسانية ، ولكنه في الوقت نفسه كان صاحب ملكة فنية عظيمة .

و كراهيته للصور الايطالية الداكنة الالوان جعلته يرمم بالوان فاتحة ، لطيفة ، وبالوان فضية . وهو على ثقة اكيدة في وضع ألوانه .

وعلى العموم لا يُعدُّ « هوغارث » من عظماء المدرسة الانكليزية فحسب بل هو من عظماء الفنانين في العالم كله .

بغداد عطا صبري

دبلوم جامعة لندن في الفنون الجميلة